(١٠)

الإيمان بالقدر

روى الإمام أحمد والتِّرمذيُّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**»(١).

وعن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه، حتَّى يستيقن يقينًا غير ظَنٍّ: أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويقرَّ بالقدر كُلِّه». رواه البيهقيُّ(٢).

هذا أصلٌ عظيم من أصول الإيمان، وركنٌ جليل من أركانه العظام، أن يؤمن العبد بالقضاء والقدر، ومحلُّ هذا الإيمان القلب، ومِنَ المعلوم أنَّ الإيمان الَّذِي خلقنا الله عَزَّوَجَلَّ لأجله، وأوجدنا لتحقيقه؛ يقوم على أركانٍ ستَّة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. وقد جمعها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث جبريل المشهور عندما سأل النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإيمان، قال: أخبرني عَنِ الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ**

---

(١) رواه أحمد (٦٩٨٥)، والتِّرمذيُّ (٢١٤٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) رواه البيهقيُّ في القضاء والقدر (٢٠٦).

وَشَـرِّهِ»[١].

وقد جاء ذكر هٰذا الأصل، أعني: الإيمان بالقدر؛ في القرآن الكريم في مواضع عديدة منه، منها: قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:١-٣]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٤٠]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التّكوير:٢٨-٢٩]، والآيات في هٰذا المعنى كثيرة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد جاء في السُّنَّة أحاديث كثيرة تُبيِّن مكانة الإيمان بالقدر العظيمة، ومنزلته العليَّة الشَّريفة.

روى مسلم في صحيحه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ**»[٢]. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكَيْس (بفتح الكاف) ضدُّ العجز، ومعناه: الحذق في الأمور، ويتناول أمور الدُّنيا والآخرة، ومعناه: أنَّ كُلَّ شيء لا يقع في الوجود، إلَّا وقد سبق به علم الله ومشيئته، وإنَّما

(١) رواه البخاريُّ (٥٠)، ومسلم (٨).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٥).

جعلهما في الحديث غاية لذلك؛ للإشارة إلى أنَّ أفعالنا وإن كانت معلومة لنا ومرادة منَّا، فلا تقع مع ذلك منَّا إلَّا بمشيئة الله»[١].

ولهذا شُرع لنا في الدُّعاء؛ أن نقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**»[٢]؛ لأنَّ الَّذِي يُعيذ مِنَ العجز والكسل هو الَّذِي بيده أزِمَّة الأمور ومقاليد السَّموات والأرض، فلا يَسْلَم عبدٌ مِنَ الكسل ولامِنَ العجز إلَّا إذا سلَّمه الله؛ لأنَّ الأمور بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وروى الترمذي عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ : يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالحَقِّ ، وَيُؤْمِنُ بِالمَوْتِ ، وَبِالبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدَرِ.

وروى الإمام أحمد والتِّرمذيِّ وغيرُهما، عن الوليد ابن الصَّحابِيِّ الجليل عبادة بن الصَّامت، قال: «**دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي، وَاجْتَهِدْ لِي، فَقَالَ: أَجْلِسُونِي، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ**

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٧٨).

(٢) رواه البخاريُّ (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

لِيُخْطِئَكَ، يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». يَا بُنَيَّ، إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ؛ دَخَلْتَ النَّارَ»**(١).

وقول عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى، **حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**». يُبَيِّن أَنَّ الَّذِي لا يؤمن بالقدر؛ ما عرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا عرف عظمة الله، ولا قَدَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حقَّ قدره ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمر:٦٧]، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «القدر قدرة الله»(٢). قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدًّا، وقال: هذا يدلُّ على دِقَّة علم أحمد، وتَبَحُّره في معرفة أصول الدِّين، وهو كما قال أبو الوفاء: فإنَّ إنكار القدر إنكار لقدرة الرَّبِّ على خلق أعمال العباد، وكتابتها، وتقديرها»(٣).

فالَّذِي لا يؤمن بالقدر هو في الحقيقة لا يعرف الله، ولا يؤمن به، ولا يستقيم توحيده؛ ولهذا جاء عن الصَّحابِيِّ الجليل عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٠٥)، والتِّرمذيُّ (٢١٥٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) مسائل أحمد برواية ابن هانئ (١٨٦٨).

(٣) شفاء العليل (١/ ٩٧ - ٩٨).

أنَّه قال: «القدَرُ نظام التَّوحيد؛ فمَن آمن بالله، وكذَّب بالقدر؛ نقض تكذيبُه توحيدَه»[١]. أي: أنَّه بتكذيبه بالقدر ينتقض توحيده، فلا يكون مؤمنًا بالله.

وإذا كان الإيمان بالقدر نظامَ التَّوحيد؛ فإنَّ التَّوحيد نفسَه نظام الحياة، فحياة الإنسان لا تنتظم إلَّا بتوحيد الله، ومَن لم يُوَحِّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ تكون حياته وشؤونه فُرُطًا، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، فإذا انهدم التَّوحيد؛ انفرطت الحياة، وضاع الزِّمام، وانفلت الخطام، وتبدَّدت الأمور، وعاش الإنسان في ضياع، وأصبحت حياته كلُّها تَباب لا قيمة لها، فلا تنتظم الحياة إلَّا بتوحيدِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا ينتظم توحيده جَلَّ وَعَلَا إلَّا بالإيمان بقدره، وأنَّ الأمور كلَّها بتقديره عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ الأمورَ كلَّها بمشيئته، وأنَّ ما شاء جَلَّ وَعَلَا كان وما لم يشأ لم يكن.

والإيمان بالقدر لا يكون إلَّا بالإيمان بمراتبه، وهي أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعِلم الله عَزَّوَجَلَّ الشَّامل المحيط الواسع، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أحاطَ بكلِّ شيء علمًا، وأحصى كلَّ شيء عددًا، علِم ما كان، وعلِم ما سيكون، وعلِم ما لم يكن أن لو كان كيف يكون. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ

(١) رواه الفريابيُّ في القدر (٢٠٥)، والطَّبرانيُّ في الأوسط (٣٥٧٣).

فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ:١-٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:١٤].

المرتبة الثَّانية: الإيمان بالكتابة، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب كُلَّ ما هو كائن في اللَّوح المحفوظ؛ قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحجُّ:٧٠]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٢-٥٣]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس:١٢].

روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(١).

المرتبة الثَّالثة: الإيمان بمشيئة الله جَلَّ وَعَلَا النَّافذة وقدرته الشَّاملة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، وقال تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التَّكوير:٢٨-٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان:٢٩-٣١].

المرتبة الرَّابعة: الإيمان بأنَّ الله خالق كلِّ شيء، وأنَّ جميع ما وُجد ويوجد فالله خالقه؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافَّات:٩٦]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمر:٦٢].

إن من الجميل بالمؤمن أن يكون إيمانه بالقدر حاضرا معه في كل تقلباته وجميع أحواله مستشعرا أنه طوعُ تدبير سيده ومولاه يقضي فيه بما يشاء ويحكم فيه بما يرد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه.

ولنتأمل في هذا دعاء الاستخارة الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم أمته توطينا لهم على الرضا بقضاء الله، والتسليم لما يقدره، بأن يفوض العبد الأمر إليه سبحانه أن يختار له ما فيه الخير له في دينه ودنياه وعاقبة أمره، وأن يصرف عنه ذلك الأمر إن كان فيه شر له وأن يقدر له الخير حيث كان، إيمانا من العبد أن الأمور كلها بقدر الله.

روى البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ

اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ ، وَلاَ أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ ، وَلاَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ قَالَ : وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ.

وأرشد عليه الصلاة والسلام المكروب أن يستحضر الإيمان بالقدر وأن يدفع قدر الله بقدر الله، ملتجأ إلى الله متوسلا إليه بإيمانه بقدره أن يكشف كربته ويذهب عنه حزنه ويبدله فرحا.

روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، ابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ

رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلاَءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا ، قَالَ : فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلاَ نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا.

والإيمان بالقدر يفيد العبد فوائد عظيمة: فهو يُعْطِي القلب قوَّة، ويزيد العبد معرفة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويُذَلِّل له الصِّعاب، ويرزقه الله جَلَّ وَعَلَا بإيمانه بالقدر السِّلوان في المصائب، فإذا أصيب المؤمن بمصاب؛ سلَّاه إيمانه بالقدر، كما قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التَّغابن:١١]، قال علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو المؤمن تصيبه المصيبة، فيعلم أنَّها من عند الله، فيرضى ويُسَلِّم»[(١)]. يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ ولهذا قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **«يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»**. رواه التِّرمذيُّ[(٢)]. وهذه ميزة عظيمة للإيمان

---

(١) رواه الطَّبريُّ في جامع البيان (٢٣/ ٤٢١).

(٢) رواه التِّرمذيُّ (٢٥١٦)، وصحَّحه الألبانيُّ.

بالقدر، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١). فالمؤمن في سرَّائه شاكر، وفي ضرَّائه صابر؛ في سرَّائه يفوز بثواب الشَّاكرين، وفي ضرَّائه يفوز بثواب الصَّابرين، فهو فائزٌ رابحٌ غانمٌ في كُلِّ أحواله.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عباده المؤمنين بكُلِّ منزلة خيرًا منه، فهم دائمًا في نعمة من ربِّهم، أصابهم ما يُحِبُّون أو ما يكرهون، وجعل أقضيته وأقداره الَّتِي يقضيها لهم ويُقَدِّرها عليهم متاجر يربحون بها عليه، وطرقًا يصلون منها إليه، كما ثبت في الصَّحيح عن إمامهم ومتبوعهم -الَّذِي إذا دُعِي يوم القيامة كُلُّ أناس بإمامهم دُعوا به صلوات الله وسلامه عليه- أنَّه قال: «عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كُلَّه عجب، ما يقضي الله له من قضاء إلَّا كان خيرًا له، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له»(٢)، فهذا الحديث يعمُّ جميع أقضيته لعبده المؤمن، وأنَّها خير له إذا صبر على مكروهها وشكر لمحبوبها»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٣) قاعدة في الصَّبر (ص٨٨).

قال ابن ناصر الدِّين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يجـري القضـاءُ وفيـه الخيـرُ نافلـةٌ لمـــؤمنٍ واثـــقٍ بـــالله لا لاهـــي

إن جـــاءه فـــرحٌ أو نابـــه تـــرحٌ في الحـــالتين يقـــول الحمـــد لله

وبحمده سبحانه نختم، فله الحمد أولاً وآخراً.